Bilingualism الثنائية اللغوية

تمهيد:

كثير الحديث في السنوات الأخيرة عن الواقع اللغوي في الجزائر، إذ صار يتميز بتعدد اللغات المتمثلة في اللغة العربية بشكليها (الفصحح والعامي)، واللغة الأمازيغية واللغات الأجنبية وأهمها اللغة الفرنسية، وهو ما أدى إلى ظهور ما يسمى بالازدواجية والثنائية اللغويتين. هذه الأخيرة، تعدّ ظاهرة لغوية شائعة في المجتمعات حيث يُتقنُ الفردُ لغتين اثنتين أو أكثر بدرجاتٍ متفاوتةٍ من الكفاءة، وقد ساهمت العولمة والتقدم التكنولوجي في تعزيز انتشار الثنائية اللغوية، حيث أصبح من السهل على الناس تعلم لغاتٍ جديدةٍ من خلال الانترنت ووسائل الإعلام.

1. الثنائية اللغوية المفهوم والنشأة:

هي استعمال الفرد أو المجتمع، في منطقة معينة، للغتين مختلفتين في آن واحد، وهذا دليل على تقارب مفهوم الثنائية من مفهوم الازدواجية؛ حيث تشير الازدواجية فيما تناولناه سابقا إلى تجاور مستويين مختلفين في مجتمع معين. كما يجمع اللسانيون على أن الثنائية اللغوية تعبر عن الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين، كما تعبر عن تلك الحالة التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين، فالفرد ثنائي اللغة بذلك هو فرد يمتلك عدة لغات تكون مكتسبة كلها كلغات أم، وبذلك تعبر الثنائية عن تحكم الفرد أو مجموعة أفراد في مستويين لغويين، واستعمالهما لكل نظام حسب الاقتضاء بالدرجة نفسها، ليفهم من الفرد الثنائي اللغة ذلك الفرد الذي يمتلك لغتين أو أكثر لكن ما يميز هذا الامتلاك هو اكتسابها كلغات أم¹.

أما ظهور مصطلح الثنائية اللغوية لأول مرة كان على يد الكاتب اليوناني إمانويل غواديس Emmanuel Roidis لأسباب متعددة، كانت ناجمة عن الوضعية اللغوية المتضاربة في المجتمع اليوناني.

يمكن تحديد الثنائية اللغوية بأنها وضعية لغوية يتناوب فيها متكلمون من مجموعة لغوية ما على نظامين

لغويين مختلفين ويرمز مفهوم الثنائية اللغوية إلى تداول لغتين مختلفتين في مجتمع واحد أي استخدام واتقان لغتين بالتناوب.

¹ أحمد البناي: الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري، وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها، مخبر دراسة الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تلمسان

وعليه فالثنائية اللغوية هي ظاهرة لغوية تعني استعمال الفرد أو المجتمع في منطقة معينة لغتين مختلفتين في آن واحد. وبهذا المفهوم تبدو الازدواجية مقابلا عربيا لمصطلح Diglossie فيما تبدو الثنائية المقابل العربي لمصطلح Bilinguisme لكن عند ترجمة هذين المصطلحين إلى العربية يبدو أنهما يحملان معنى واحدا.¹

2. أنواع الثنائية اللغوية:

أ. **الثنائية اللغوية على صعيد الوطن:** تعبر عن اعتماد الدولة لمستويات مختلفة في التعبير ويتجلى ذلك في اعتماد مؤسساتها للغتين مختلفتين أو أكثر في تأمين خدماتها والتواصل بينها وبين مؤسسات أخرى وضبط نظامها والتواصل بين عمالها.

ب. **الثنائية اللغوية الإقليمية أو المحلية:** تعبر عن وجود مستوى لغوي آخر عدا المستوى الرسمي، منتشر في مجال إقليمي من الدولة يخالف المستوى اللغوي المعتمد في الدولة بشكل رسمي مختلف في بنيته الصوتية والنحوية والصرفية عن المستوى الذي تعتمده الدولة.

ت. **الثنائية اللغوية الخاصة بالأقليات العرقية:** تعبر عن الحالة التي تسعى فيها الدول إلى استيعاب الأعراق المختلفة باعتماد لغة قومية يعتمدها جميع أفراد المجتمع، بينما تحافظ الأقليات العرقية على لغتها الأصلية من خلال التواصل داخل البيت أو ضمن التجمعات الخاصة بها.

ث. **الثنائية اللغوية المؤسسية:** تعبر عن اعتماد مستوى لغوي معين في بعض النشاطات بحيث يصبح هذا المستوى اللغوي معتمدا في التجارة والتعليم والإدارة، كما هو الحال في بعض الدول التي تعتمد بعض اللغات كلغات ثانية تختص بقطاع معين كالتعليم التقني والعلمي.

ج. **الثنائية اللغوية المدرسية أو التربوية:** وهي ثنائية تتنوع من الناحية العملية من تدريس لغة ثانية إلى تعليم المواد المدرسية باللغة الثانية، وإلى استيعاب ثقافة اللغة الثانية وقيمها، وترتبط بالبرنامج التربوي الرسمي، وتهدف إلى تعميم استخدام اللغة الثانية إضافة إلى اللغة القومية.

ح. **الثنائية اللغوية المؤقتة:** هي ثنائية تكون فيها لغة المستعمر القديم لغة رسمية بمعنى أن الثنائية اللغوية المؤسسية المؤقتة تتقدم فيها لغة المستعمر لتحل محل اللغة الأصلية فتصبح رسمية بينما يبقى نظام اللغة الأصلية على الألسن.²

¹ عابد بوهادي: واقع اللغة العربية في المجتمع الجزائري بين الازدواجية والثنائية اللغوية جامعة ابن خلدون تيارت مجلة بشائر العلوم المدرسة العليا للأساتذة،

القبلة العدد سبتمبر 2020 ص3

² أنواع الثنائية اللغوية: أحمد البناي: الازدواجية اللغوية في الواقع الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها ص 106_107

3. أسباب ظهور الثنائية اللغوية:

- أ. أسباب سياسية: يعتبر العامل السياسي أهم العوامل في ظهور الثنائية اللغوية وتفشيها كالهجرة الجماعية بسبب الاضطهاد السياسي أو العربي أو الديني أو هروبا من الفقر والأمراض، بحثا عن السلامة والأمن ومنها يستدعي المهجرون تعلم لغة البلد المضيف، وهناك عامل الغزو العسكري الذي يفرض لغته على الدولة المحتلة.
- ب. أسباب اقتصادية: ومجال المعاملات الاقتصادية والصفقات التجارية التي تسري بين مختلف أطراف العملاء التجاريين وهذا التقارب التجاري ينجم عنه تقارب لغوي بوجود لغة مشتركة، وأن كان لا يوجد تقارب صوتي للغة المشتركة ضمن مستوي واحد بالتالي وجود لغة مشتركة أي كلا منهما ثنائي اللغة نشوء ثنائية.
- ت. أسباب اجتماعية ونفسية: ويمكننا أن نرجع هذا النوع من الأسباب إلى تلك العلاقات بين الأفراد مثل: الزواج بين اثنين مختلفي الجنسية، كل منهما يسعى لتعليم أولاده اللغة الأم (المنشأ) وهذا من وجهة نظر كل منهما ورغبة الشباب في الهجرة بذريعة استكمال التعليم ومن ثم الزواج بالأجنبيات.

4. الفرق بين الثنائية والازدواجية والتعدد اللغوي¹:

التعدد اللغوي	الازدواجية اللغوية	الثنائية اللغوية
استخدام لغتين أو أكثر من قبل شخص ما، أو في مجتمع لغوي محدد، وهي ظاهرة ناشئة عن الهجرات من دولة إلى دولة وعن الاستعمار الذي نشر لغته بعد خروجه من البلدان المستعمرة، والحدود المشتركة بين الدول مما يسمح للغات من التسلسل من بلد إلى آخر، وكذلك العولمة المرتكزة على كسر الحدود، واستعمال وسائل الاتصال الواسعة مما سمح لهيمنة بعض اللغات على أخرى.	تشير إلى وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أي لغة للعلم والفكر، ولغة أخرى للحياة اليومية العادية. وقد اختار عبد الرحمن بن محمد القعود مصطلح الازدواجية للتعبير عن مستويين في لغة واحدة فقال: "الازدواج اللغوي وفق المفهوم الذي اخترته هو وجود مستويين في اللغة العربية مستوى الفصيحة، ومستوى الدارجة أو مقابلاتها مثل العامية أو اللهجة.	القدرة على اتقان لغتين مختلفتين لا قرابة بينهما مثل استخدام اللغة العربية واللغة الإنجليزية. يعرفها جوشوا فيشمان على أنها "قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات"

¹ عبد الرحمان القعود: الازدواج النحوي في اللغة العربية: ط 01، الرياض 1997 ص12

5. مظاهر الثنائية اللغوية (التداخل اللغوي):

نتطرق لهذا العنصر باعتباره أثرا من آثار بعض الظواهر اللغوية كالثنائية والازدواجية والتعددية، ولعل هذا ما جعل برنارد صبولسكي ينظر إلى التداخل بأنه "قد يكون خلط كلمات مستقاة من لغتين أو أكثر في الخطاب"¹، فيحدث التشابه والالتباس وصعوبة فصلها عن بعضها البعض نتيجة تشابكها وهذا ما يؤكد المعنى اللغوي لهذه اللفظة كما جاء في لسان العرب لابن منظور أن "تداخل الأمور: تشابها والتباسها ودخول بعضها ببعض"². وهناك من يطلق عليه المهجين اللغوي³، كما نلمسه عند **جورج موونان** في معجم اللسانيات حينما تحدثت عن تشكّله وقال بأنّها تمثل ظاهرة لغوية هجينة إذ "التغيرات الناتجة في لغة ما التي تحدث بفعل التماس مع لغة أخرى أو أكثر ما يشكّل لغة تواصلية هجينة تمثل ظاهرة التداخل اللساني".

ويعرفه الدكتور **أحمد البناي** قائلا: "هو مصطلح يشير إلى تأثير اللغة الأم على اللغة التي يتعلمها المرء، أو إبدال عنصر من عناصر اللغة الأم بعنصر من عناصر اللغة الثانية، والعنصر يعني صوتا أو كلمة، أو تركيبا، أو بعبارة أخرى يبدو التداخل اللغوي في تسلط نظام اللغة الأم على نظام اللغة التي يتعلمها الفرد، حيث يتجلى ذلك من خلال استبدال عنصر لغوي من اللغة المتعلمة بعنصر آخر من عناصر نظام الأم"⁴، وهذا المعنى الذي اشتهر عند كثير من باحثي اللسانيين الغربيين، بأن التداخل تأثير لغة الأم على اللغة التي يتعلمها المرء كتعريف اللغوي **آينر هوجن Einar hougen**، وهناك نظرة أوسع من هذا التعريف لبعض الباحثين كالـدكتور **علي القاسمي** قائلا: "ولكننا ننظر إلى التداخل اللغوي بوصفه انتقال عناصر من لغة (أو لهجة) إلى أخرى، في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة: الصوتية، الصرفية والنحوية، والمفرداتية والدلالية والكتابية، سواء أكان الانتقال من اللغة الأم الثانية أو بالعكس، وسواء كان هذا الانتقال شعوريا أو لاشعوريا، فإذا تأثرت اللغة العربية الفصيحة التي يتكلمها الطفل العربي بلهجته العامية أو باللغة الأجنبية التي يتعلمها، فإننا نعدّ ذلك من باب التداخل اللغوي كذلك"⁵.

فالخلط بين العربية وألفاظ أخرى من اللغة الفرنسية أو غيرها حتما يؤدي إلى المزالق اللغوية، فإذا اعتبرنا العامية أو الدارجة في موضع اللغة الأم بالنسبة للطفل، فإنه في هذه الحالة يرتكب أخطاء لغوية في مرحلة تعلمه للفصحى، فتجده يقارن بطريقة لاشعورية بين أنماط اللغتين، ويقوم بتحويل بناء لغة الأم إلى اللغة الثانية، على سبيل المثال نجده يقول: قال "بأن" بدل قوله "قال إن"، وقد أشار إلى هذه المهالك اللغوية الدكتور أحمد معتوق قائلا: "لقد أدى هذا

1 - برنارد صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: ستقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص128.

2 - ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، لبنان، ص243.

3 - ينظر: صالح بلعيد، الأمن اللغوي، مرجع سابق، ص224.

4 - د. أحمد بناني: الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها، مرجع سابق، ص108.

5 - د. علي القاسمي، التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، ع1،

الخط إلى ضعف اللغة العربية وإنتاج جيلا لا يقدر أن يبدع ولا أن يفكر بهذا الوضع، وهو ما يؤدي مستقبلا على مسح اللغة العربية والبعد عنها أو تحويلها إلى لغة هامشية فاقدة الهوية معرضة للانزواء والانكماش"¹.

كما تحسن الإشارة إلى الفرق بينه وبين الدّخيل، أن الدّخيل هو الكلام الأعجمي الذي دخل العربية وتركه العرب على صورته التي أخذ بها من لغة أخرى، وهناك من قيده بالمعيار الزمني كما فعل الدكتور ظاها حيث عرف الدّخيل بأنه "لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور العرب الخالص الذين يحتاج بلسانهم"¹، ويرى عبد الكريم مجاهد أنه هو "اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير"².

وفي نظرنا أن لفظة "التداخل" تحمل معنى التفاعل والاندماج وكأن الألفاظ لما اندمجت بنظام غير نظامها وطراً عليها تغيير في الصوت أو الحذف أو الزيادة فتفاعلت وصارت من ذلك النظام أما لفظة "الدّخيل" يوحي بأنه غريب مقترض فيبقى على حاله بدون تغيير.

خلاصة

- الثنائية اللغوية تعني مقدرة الفرد على التنقل بالتناوب بين لغتين وفقا لاحتياجه، ويختلف مفهومها عن الازدواجية اللغوية والتعدد اللغوي.
- الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية مصطلحان يدلان على اللغة، يختلفان في جوهرهما، فالثنائية اللغوية تدلّ على معرفة لغتين مختلفتين، من أصلين مختلفين، كاللغة العربية واللغة الإنجليزية، أما الازدواجية اللغوية تدلّ على لغتين من أصل واحد كاللغة العربية الفصحى واللّهجات العامية لأي دولة من الدول العربية.
- تتنوع الثنائية اللغوية حسب مكان حاجة الفرد أو المجتمع للغة الثانية.
- هناك أسباب متنوعة تدفع إلى ظهور الثنائية اللغوية أهمها العوامل السياسية
- نجد الثنائية اللغوية في الجزائر بشكل بارز، وسبب ذلك الاستعمار الفرنسي للجزائر.
- تتخذ للثنائية اللغوية نقطة إيجابية من حيث تسهيل فهم الآخر والتعامل معه، ونقطة سلبية باعتبارها خصما عنيدا للفصاحة، يعمل على هدمها والتخلص منها.
- لقد أصبحت الغالبية الساحقة من الجزائريين بما فيهم المتعلمون لا يتحكمون في أية لغة من اللغات؛ فازدواجي اللغة لا يتقن العربية بالشكل المطلوب، وثنائي اللغة لا يجيد الفرنسية.
- الثنائية اللغوية أنواع، ثنائية لغوية فردية، ثنائية لغوية مجتمعية، ثنائية لغوية افقية.

¹ - أحمد محمد المتوق، نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ص522.

² - المرجع نفسه، ص282.